الدّرامز والدّريمز

رضا يونس

"الدّرامز" "والدّريمز".. حسنًا بدأ العرض.

مشهد داخليٌّ.

مسرح يخطف الأبصار، على ستار الحائط صور لراقصة مشهورةٍ، فوق خشبة المسرح مجموعة كراسٍ تنتظر مرتاديها، أمام كلّ كرسيٍّ طبلة من الحجم المتوسّط مشدودة بشكل محكم، مكتوب على جانبها: "الطّبلة طريقك للشهرة"

الجمهورُ كثر إلى درجة لم أستطع حصرَها، لكنّه متنوّع بكلّ الفئات، يغلب عليه كبار السّن وقليل من اليافعين، يبدو الجمهور صامتًا، وكأنه يشحذ حواسّه انتظارًا لوجبة يوميّة دسمة تعوَّد عليها، بل وامتزجت بتلك الرّؤوس الهشّة.

تأخّر وقت العرض عدّة دقائق، لا يعلم الجمهور سبب التأخير، فبدأت الهمهمات تتصاعد، بعض الكلمات تتلاحق من هنا وهناك لتفسير السّبب، فجأة ظهر مقدّم الحفل، شابّ وسيم يافع ذو قوام

وملامح تحيرك في تصنيف نوعه، يبدو أقرب إلى الذّكورة؛ للخشونة البادية في أحباله الصّوتية، رغم ما يمنحها من طبقات أنثويّة، قدّم اعتذاره للجمهور مذيّلًا ببشرى لجمهور الصالة: الليلةَ نقدّم إليكم عضوًا جديدًا في فرقتنا، تعلمون أنّ السّيد "أ.ح" تمّ ترقيته من يومين ليكون قائدَ الأوركسترا، وقد وقع اختيارنا على شخص نهم لوظيفته الجديدة، حيث يطاردها منذ ثلاث سنوات، من فضلكم حيّوا معي الموسيقي الجديد "ر.ي."

ضجَّت الصّالة بالتّصفيق والصّفير إعجابًا بهذا العضو الجديد، فقد سئموا من هؤلاء الذين باتت ألحانهم المتشابهة ماركة محفوظةً، حتّى أنّ الجمهور يسبقهم في عزفها.

دخل "ر.ي." المسرح منحني الهامة إعجابًا بتحيّة الجمهورِ الذي أربكه قليلًا، ثمّ أخذ موقعه في الخلف، فمن طبيعة هذه الوظيفة أن يبدأ عضوُ الفرقةِ الجديدُ السّلمَ الموسيقيّ من (دو.. ري)، ويمرّ بعدّة تجارب واختبارات، حتّى يثبت جدارته، ليتخطّى الرّقاب، ويسمح له بالتّرقّي حتّى درجة قائد أوركسترا، اصطف جميع الموسيقيين وكان

عددهم ستّةً وأربعين، جميعهم وصلوا إلى تلك الخشبة بالواسِطة، لكنّهم في الحقيقة لديهم استعداد فطريّ للتّأقلم والتّكيف. نسيت أن أنوّه أنّ الفرقة الموسيقيّة بارعة في العزف على آلة موسيقيّة واحدة، وهي (الطّبلة). دخلت الرّاقصة الجميلة، التي أجبرت الجمهور على الهتافِ والتّصفيق والأهازيج لنصف ساعةٍ كاملة، منبهرين بهذا السّحر الأخّاذ الخاطفِ للأبصار والبصائِر، والشّهوات، لقد كانت تشبه فتاةَ الكمبيوتر الّتي تتخطّى جميع الفيروسات، فهي ضدُّ المرض والشيخوخة.

ولأنّ (ر.ي.) حديث عهد بهذا العمل دُرِّبَ على عجالة تدريبًا نظريًّا، ولخشية قائد الأوركسترا (أ.ح) من أن يفشل العرض، أعطاه دورًا صغيرًا لا يتجاوز الدّقيقةَ في نهاية العرضِ.

عزفت الفرقة بإشارات موجّهة من المايسترو عزفًا متقنًا متناغمًا، ممّا دعا الرّاقصة أن تقدّم وجبة دسمة من الرّقص الشّرقيّ، تتلوّى مع طَرَقات الطّبل التي تخالها عودًا عربيًّا مرّة، وقد توحي إليك بأنها نايٌ أو كلارينت، أو سكسفون أو بيانو مرات أخرى، في الحقيقة.. إبداع

متواصل، والرّاقصة راضية تمامًا عن أبطالها الّذين شعروا بابتسامتها، فزادهم ذلك إبداعًا، وزهوًّا، وكأنّهم يروِّضون أحصنة بريّة عصيّة، لكنّها سرعان ما تستجيب لهؤلاء السحرة.

أوشك العرض على النّهاية.. وجاء اختبار العضو الجديد، لعله يحدث مفاجأةً، فيضيف حداثةً وتطوّرًا إلى الفريق، فيقنع الجمهورَ القانعَ أساسًا، والغريب أنّ (ر.ي) الّذي تمّ إعداده على عجل، ارتبك فسقط "الدّرامز" من يده، حاول استعادته مرّة أخرى، لكنّ الدّماء تجمّدت في عروقه؛ فقد كانت المرة الأولى التي تحيط فيها أنامله المرتعشة بآلةٍ موسيقيّة موجّهة، فضرب عليها ضرب نشاز فضربت هي اللّحن المتناغم في مقتلٍ.. هاج الجمهورُ وماج، ما هذا؟! إنّه لا يجيد العزفَ.. إنّه لقيط! وما هي إلا ثوانٍ حتّى ألقى الجمهور المسالمُ الأحذيةَ في وجوه الفرقةِ، فهربوا جميعًا إلى السّتارة الّتي نزلت بكابوس لـ(ر.ي).

طرده القائدُ بعد تعنيفه وتهديده بوضعهِ على القائمةِ السّوداء للطّبّالين.